ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 13 نوفمبر 2019

الفلسفة، الخطاب والعنف

إريك فايل
ترجمة: حمادي أنوار

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019
All rights reserved © 2019

الفلسفة، الخطاب والعنف[1][2]

إريك فايل

ترجمة: **حمادي أنوار** (باحث مغربي)

1- تم نشر هذه الترجمة في كتاب «التواصل في مواجهة العنف»، إشراف الطيب بوعزة، إعداد وتنسيق محفوظ أبي يعلا، منشورات مؤمنون بلا حدود، 2019

2- Weil, Eric (1985): «Logique de la philosophie», 2ème édition, Librairie Philosophique J. Vrin, Paris. pp.54-65.

العنف والخطاب:

الفرد صاحب الخطاب التام الاتّساق:

إن كل شيء مُنجَزٌ وكامل، فقد بات التعارض القائم بين الخطاب والعنف، في ظهورٍ غير قابلٍ للاختزال، مفهوماً ومُنهزماً. نعم، فهناك عنف بالنسبة إلى الفرد، وكان هناك عنف بالنسبة إلى الإنسان الذي لم يكن بعدُ قد بلغ المستوى الذي ستتحقق فيه الحرية المعقولة. حيثُما يعلم الإنسان الكوني، عن ذاته، أنه راضٍ بشكل كوني ونهائي ومعقول. إلا أن هذا العنف قد تمّ إقراره الآن بوصفه ماهيةً للفرد بما هو كذلك؛ إنه ليس ماهية الإنسان الذي لم يعد بعدُ يرزح تحت وطأة العنف، والذي ليس العنفُ، إطلاقاً، بالنسبة إليه، ما لا يكترثُ له ويريدُ نسيانه، إما عن خوف، وإما عن كسل، وإما عن جبن. وإنما هو ذلك العنف الذي قام بإخضاعه وتحويله. فالفرد مأخوذ في حركة الصيرورة، ويتلقى مضمون حياته من الخارج. لكن الخطاب التام الاتساق للإنسان الكوني (الذي تمت كَوْنَنَتُه في، وبوساطة، تاريخه) يلامس مجموع التناقضات، وكل عنف ملموس يملك دلالة بالنسبة إلى العقل، الذي هو نَفسُه قد تطور. إن الواقع لم يعد يضطهد الإنسان، ولا ينصهر أيضاً في نوع من التصنّع الفارغ والشكلي المحض: إن ما يظهر، ليس بمعنى (un sens) يتعارض مع لامعنى ما (un non-sens)، كما أنه ليس لامعنى (un non-sens) يستجدي دلالة ما فحسب في الثقة التي يمنحها الإيمان، والذي لا هو بعارف ولا بمعروف. إن العالم، بكل ما يحتويه، بما في ذلك الإنسان وتاريخه، عبارة عن معنى، وهو المعنى الوحيد. إنه المعنى المنكشف، بصورة كلية، بذاته ولأجل ذاته.

يمكن للفرد، في هذا العالم، أن يتكلم باعتباره فرداً؛ لكن هذه اللغة لن تكون معقولة، ولا تامة الاتساق، فحتى إن كانت مُتحررة من كل تناقض صوري، فإنها لن تكون سوى إحدى الجوانب في واحدةٍ من التناقضات الواقعية للمعطى، ولن يكون بمقدورها أن تُفهَم على أنها معقولة إلا بتبعيتها للكوني الذي تحتويه دون أن تدري ذلك. إن كل خطاب يملك معنى، وبهذا فإنه يتشارك في المعنى. إلا أن هذا المعنى الخاص لا ينكشف في حقيقته إلا وهو موضوعٌ في المعنى المطلق، ومنظورٌ إليه من وجهة نظر المعرفة المطلقة للخطاب التام الاتساق. لكن، مادام هذا المعنى ينكشف هكذا، فمن الصائب جدّاً القول أيضاً: إنه ما من شكل من أشكال الخطاب الإنساني يكون عبثيّاً على نحو مطلق؛ إن التاريخ هو تحقق المعنى المطلق، وهكذا فإنه -التاريخ- مكتمل، لأنه أصبح مفهوماً وواضحاً؛ أي لأن جميع الخطابات الخاصة، وحتى تلك الأقل اتساقاً، بما في ذلك صرخة العنف، قد صارت مفهومة أيضاً. أو لنقل، إذا شئنا ذلك (وهذا لن يغيّر في الأمر شيئاً)، إن التاريخ مفهوم وواضح لأنه مُكتمل: لقد أكمل مساره لأنه وَجَد ما كان يبحث عنه، وهو التَّوافُق بين علم الوجود ويقين الحرية. ولكونه أدرك أنه هو عينه من أنتج هذا التصالح، وذلك بالتحول من النفي والخطاب الخاص (négation et discours particulier) إلى نفي الخطاب الخاص (négation-discours

particulier)، ولأنه ليس هناك من خيار آخر، ما يبدو أنه مفارقة بالنسبة إلى الفهم المحدود وإلى شعور الفرد، ليس سوى شيئاً واحداً ووحيداً. وهو، من وجهة نظر المعرفة المطلقة، ليس إلا مظاهره المختلفة. لم يعد العنف مَقصيّاً من الخطاب، كما لم يعد أيضاً مُداناً فحسب؛ بل هو مُتَضَمَّنٌ، بما هو إيجابي، في النطاق الذي ما كان للحركة أن توجد من دونه، وبما أنه في كل نقطة خاصة منه ليس سوى سلبية، فإنه في عمومه هو إيجابية الوجود، التي تتجلى، بشكل عقلاني، باعتبارها حرية.

إن الفرد مَفهومٌ وواضح إذاً؛ وبتعبير أدق، يستطيع الإنسان أن يَفهم فردانيته، يمكنه ذلك، وبإمكانه أيضاً ألَّا يفهم ذاته، وأن يمتنع عن ذلك، وألَّا يكون عاقلاً. إنه قادر على الاستمرار في الكلام كما لو كان لخطابه الخاص معنىً تامّ في ذاته، ولا شيء يمنعه من ترك المعرفة المطلقة هناك والتشبّث بفردانيته: أَلَا يُعَلِّمُ الخطابُ التامُّ الاتساقِ، بصورةٍ دقيقة، أنَّ الإنسان حرٌّ موضوعيّاً، وأنَّ العالم قد تَمَّ تحويله إلى عالم الحرية، وأنَّ الفرد يُمكنه السماحَ لنفسه بأن يحيا، بما أنه لم يَعُد بالعالمِ مكانٌ لعدم الرضا المعقول؛ بمعنى أن العالم يضمن الرضا للفرد الذي يعيش في قلب مؤسساتٍ عقلانية أنتجتها السلبية في تاريخها؟ فلْيتكلم إذاً، ولْينكرْ، ولْيحتج، ولو بوصفه فرداً؛ فلم يعد لكلامه ولا لاحتجاجه أية أهمية بالنسبة إلى العالَم الذي أصبح إنسانيّاً بالفعل، بما أن هذا العالم لم يعد يزوده بالنقطة الأرخميدية التي كان بإمكانه تحطيمه انطلاقاً منها. إذاً، سيكون هذا الفرد تعساً بالنسبة إلى المعرفة المطلقة، وذلك ليس بسبب خطأ العالَم الإنساني، وإنما نظراً لكونه هو نفسه من أراد أن يكون تعساً، وأن يمكث بإصرارٍ في تعاسته، وألا يشاء التصالح مع ما هو كوني ومع ما هو كائن، وألا يتحرر في الفكر وبه. فليلهُ في تعاسته! إن الخطاب التام الاتساق يستوعبه ويحتويه جيداً، ولا يترك له أيّ مجالٍ للقلق.

الثورة على الخطاب التام الاتّساق:

ولكن، أتُقنعنا نحن هذه الإجابة؟ أَلَا يُغرينا الاحتجاج بإثارة ضجة شبيهةٍ بتلك التي أثارها ديوجين، الذي كان يكشفُ للإيليين، وهو يتجول أمام أعينهم، ما يستحيل إظهاره لهم لمعرفة أن هناك حركة؟ من حسن حظ المعرفة المطلقة أنها كانت، لفترة طويلة، إزاء فردٍ لا يعرف إمكانيات الخطاب التام الاتساق، ويجهل أن بمكنته أن يكون راضيّاً، وأن يستمر في التفكير على المنوال نفسه الذي كان متداولاً قبل أن يكتمل التاريخ، وقبل أن تتحقق المعرفة المطلقة. لكن ماذا لو أن الأمر يتعلق بإنسانٍ يدرك المعرفة المطلقة ويرفضها، والذي لا يطلب التصالح مع الواقع في الواقع، على غرار ما يقوم به الفرد، دون وعي، في عالم النشاط والفعل، وإنما الإنسان الذي يفرض تصالح فردانيته مع الواقع والخطابات مأخوذة في شموليتها؟

إن ما سيقوله هذا الإنسان هو الآتي: «إنني أعاني وأرغب وسأموت. إنني أقاتل وأصارع. فهل لأن المعرفة المطلقة يمكنها (وهو ما يمكنني أنا أيضاً، إن شئت، مستعيناً بهذه المعرفة) أن تستوعب، وأن تزيل التناقضات التي بيني وبين عنف كلٍّ من الكفاح والموت، ولأن بوسعها أيضاً تجاوزَ يأسي والاتجاه صوب المعنى المطلق الذي أختفي فيه، تكون معاناتي وكفاحي أقل حضوراً إلي على نحو مباشر؟ هل العنفُ هو عنفٌ بدرجة أقل بالنسبة إليَّ؛ لأنه عنف مُستوعبٌ، تستوعبه معرفةٌ تحطمني، أنا الذي أعاني وأكافح وأشتغل، والذي سأموت؟ ربما؛ بل من المؤكد أيضاً أن هذا الخطاب غير متسقٍ من وجهة نظر المعرفة المطلقة، لكن الخطير هو أن هذا الإنسان يقبل، ويفضل عدم الاتساق؛ يبدو أن الخطاب التام الاتساق لم يُصالح، في الحقيقة، بين الفرد والواقع، وإنما تَصالح مع الوجود فحسب. من المؤكد أن المعرفة المطلقة لا تخطئ، ولا تخون أنصارها؛ إنها لم تُخفِ أبداً أنه لا وجود لتصالحٍ بالنسبة إلى الفرد في فردانيته، لكن بالنسبة إلينا، إن سؤال الإنسان الثائر ضد المعرفة المطلقة لا يخلو من معنى؛ فالإنسان يمكنه أن يختار بين العقل واللاعقل، ويبدو هنا أن هذا الاختيار نفسه ليس بالاختيار العاقل أبداً؛ بل إنه اختيار حر، ما يعني، من وجهة نظر الخطاب التام الاتساق، أنه اختيار عبثي.

الفلسفة باعتبارها إمكانية إنسانية والاختيار المطلق:

لغة العنف:

يمكننا الآن أن نعود إلى ما تطرقنا إليه إلى حدود هذه اللحظة. ألم نفترض -ويبدو أن هذا الافتراض الآن بمنزلة مجازفة- أن الإنسان كائن مفكر، كائن متكلم، إلى درجة أنه حيث لا يتكلم، يفعل ويسلك أيضاً بشكل عاقل؛ أي حسب الخطاب، أو على الأقل حسب خطاب ما. لكن، هل صحيح أن الخطاب هو كل شيء بالنسبة إلى الإنسان؟ وهل هو الأساسي فحسب بالنسبة إليه؟ ما من شك في أن الأمر بالنسبة إلى الفلسفة يتعلق بالخطاب؛ حيث إنها حينما تحتج على الخطاب، فإنها تفعل ذلك بوساطة خطاب ما؛ إلا أنه يظهر الآن أن الإنسان بِوسعه صَدُّ الخطاب عن علم، وأنه، وهو يمتلك الخطاب، قادر على التخلي عنه. إنه من الصعب القول بالغاية التي من أجلها يَصُدُّه؛ لأنه ما إن ننسب إلى هذا الفعل معنى أو هدفاً أو وازعاً حتى نعود إلى العقل وإلى الخطاب. ربما على الرغم من أن هذا لا يعني شيئاً بالنسبة إلى الخطاب، هل يجب علينا القول، مع هذا الإنسان، إنه يفعل ذلك من أجل أن يحيا؟ إن الإنسان يحيا، ويشعر بذلك، ويمكنه في هذه الحياة أن يشتغل بالفلسفة، وأن يبحث عن الحكمة أو المعرفة، إلا أن هذا ليس إلا واحدة من إمكاناته، وباقي الإمكانات مهمة أيضاً، ويمكنها أن تكون بالنسبة إلى الإنسان ذات أهمية لامحدودة مقارنةً مع الأولى، التي تُعدُّ بالنسبة إلى

الفلسفة الإمكان الحقيقي الوحيد، لكن فلسفتها ما كانت لتعرف كيف تبرهن للإنسان الحقيقة؛ لأن الفيلسوف كان قد قام باختياره قبل البرهنة على أيّ شيء، وإن البرهنة ذات قيمة بالنسبة إلى من اختارها فحسب.

إن الملاحظة التي كنا سنقوم بها، بشكل متواتر، حول ما إذا كان الإنسان بمقدوره الاكتفاء بالخطاب، الذي يَظهر بأنه غير كافٍ بالنسبة إلى ذلك الذي قد تجاوزه بفعل حريته، هي ملاحظة ذات أهمية أكثر ممّا توقعنا. فالتعارض ليس قائماً بين الخطابات فحسب -لو أن الأمر كان كذلك، لكان الخطاب التام الاتساق على صوابٍ قطعاً، ولَتَمَكَّن الإنسان، كيفما كان، من تحقيقه دائماً، سواء في مجمله، أم في جزء منه- وإنما هو تعارض بين الخطاب والعنف نفسه. إن الإنسان يختار، واختياره هذا حرٌّ؛ أي إنه عبثي ولا يمكن اختزاله في أيّ خطاب كيفما كان؛ ماذا يمكننا أن نفهم من هذا، إذاً، عدا أن الإنسان ليس عاقلاً بالأساس، وأنه لا يتعارض مع الخطاب بفعل المصادفة أو الجهل أو بفعل ظروف تاريخية أيّاً كانت، وإنما لأنه في عمق كينونته شيء آخر غير هذا الخطاب، إنه كائن قادر على الرجوع إلى الخطاب، والذي يمكنه أن يستوعب ذاته داخل خطابه، ولكن ذلك الذي ليس، ولن يَكُونَ أبداً، خطاباً؟ إن العقل عبارة عن إمكان لدى الإنسان: يحدّد هذا الإمكان «قدرة» الإنسان، وهذا الأخير يستطيع، مؤكداً، أن يكون عاقلاً، أو على الأقل يريد أن يكون كذلك. إلا أن هذا هو مجرد إمكان وليس ضرورة، فإمكان كائنٍ ما يملك إمكاناً واحداً آخر على الأقل. ونحن نعلم أن هذا الإمكان الآخر هو العنف.

إنه عنف الإنسان الذي لا يقبل الخطاب من إنسان آخر، والذي يبحث عن الرضا بالذود عن خطابه الذي يريده أن يكون متفرداً، ليس بالنسبة إليه فحسب؛ بل بالنسبة إلى العالم بأسره، والذي يحاول أن يجعله بالفعل متفرداً بوساطة الإقصاء الواقعي لكلّ أولئك الذين يتداولون خطابات أخرى. إنه عنف إنسان يثبت ذاته في كينونته كما هو بالنسبة إلى ذاته، والذي لا يريد التعبير عن نفسه إلا كما «يشعر» هو، في لغة تُخَوّل له فهم ذاته والتعبير عنها واستيعابها، لكنها لغة لا يطالها التناقض، والتي لا يمكن، في مقابلها، تَخَيُّلُ أيّ تناقض، بما أنها لا تعرف ما يُسمّى المبادئ المشتركة؛ فما هو مشترك بالنسبة إلى الكل، أو فحسب بالنسبة إلى العديد من الناس، لم يَعُد هو كينونة هذا الإنسان بالنسبة إلى هذا الإنسان عينه. إنه عنف، على الرغم من أنه عنفٌ مُتَحمَّلٌ، فهو لا يزال عنفاً، وهو عنف معروفٌ بكونه ضروريّاً للحياة، وأنه لا يصدر عن الإنسان، وإنما عن الطبيعة، ومن كائن أعلى أو أسمى؛ إن هذا العنف هو الذي يعني هذا الإنسان، وليس الخطاب. فبمقدور الإنسان أن يحيا في هذا العنف، إمّا بتحمله بحرية، وإمّا بالتصدي له بشراسة، وهو يختبره بوصفه حياة في قلب معركة يعلم مسبقاً خسرانها، إلا أنها هي ما يمنحه مضموناً، وقيمةً وكرامةً. ومن ثمّ، فإنه عنفٌ في عمق وجود ذلك الإنسان الذي، وهو يشتغل ويبحث ويحتوي نفسه، لا يعتقد أن بإمكانه التخلص من المعطى

كما هو في ذاته وفي مجمله، والذي، وهو يتقبل قَدَر قوته البسيطة في مقابل القوة الهائلة دون تشدّق ودون تنميقٍ، يثبت ذاته في نجاحات مؤقتة وعابرة، وغير مجدية، والذي يدرك أنها كذلك.

العنف بوصفه مشكلاً بالنسبة إلى الفيلسوف:

إن العنف هو الإمكان الآخر للإنسان، وهو إمكان لا يظهر، على هذا النحو، إلا لنا نحن؛ فكيف يظهر لمن كان خياره الأوّل؟ سيتعين علينا القول إنه لا يظهر بالنسبة إليه كإمكان؛ لأنه ما كان ليكون إمكاناً إلا بالنسبة إلينا نحن الذين نتكلم، وبالضبط داخل خطابنا الذي ليس عنيفاً، وإنما موَجَّه صوب الفهم، وفي اتجاه كل ما هو في منأى عن العنف. بالنسبة إلى العنيف، حتى فكرة اتساقٍ مطلق وحقيقة جامعة وواضحة بشكل كلي هي عبارةٌ مجردةٌ من المعنى؛ إنه هنا ليس من أجل أن يتأمل، وإنما ليكافح أو يتحمل؛ لأنه وهو قيد كفاحه أو تحمله يعبّر عن نفسه، لكنه لا يريد أن يستوعب موضوع عنائه هذا في حقيقته الكاملة، فهو لا يهتم بالفهم والاستيعاب، ولا حتى بإمكان بجانب ذلك التي سيكون له فيه إمكانات أخرى؛ إنه عبارة عن سلبية وسط ما ينكرُه، فهو لا يملك خطاباً متسقاً، ولا يبحث عن الاتساق، ولا يبحث حتى عن عدم التناقض الأقل شأناً. ومن المؤكد أنه ليس أخرس؛ إذ يمكنه أن يَصرخ معلناً يأسه (ليس بصفته ذلك الإنسان الذي فقد الأمل، ولكن باعتباره كائناً لا يعني له الأمل شيئاً)، إن بوسعه أيضاً أن يطور سلسلة بأكملها من الخطابات الخاصة، والتقنيات، والعلوم النافعة، إضافةً إلى خطابٍ متّسق. إلا أن هذا الخطاب سيضع حدوده الخاصة، فلا هو (أي هذا الخطاب)، ولا هذه اللغة، ولا هذه الخطابات الجزئية والخاصة، يتمحورون بالنسبة إليه (أي العنيف) حول الإنسان، ولا ينشدون ما هو أساسي فيه بالنسبة إليه هو نفسه، فليس لزاماً عليهم القيام بذلك.

المهم أن نتوخى الحذر. ومرة أخرى، إنه ليس هو من يتكلم هكذا، فالحديث عمّا هو مهم بالنسبة إليه كان هو أن يُعرّض نفسه لنقد الفلاسفة؛ ولو أنه كان قد قام ببعض التمييزات، واعترف بأن بعض الأشياء مهمة، وأن أخرى يمكن إهمالها؛ بل ينبغي ذلك، لكان قد انتهى إلى العدول عن العنف، لانشغاله جدّاً بعزل ما هو أساسي عمّا هو ثانوي. إن طريقتنا في النظر هي ما يجعل من العنيف إنساناً صاحبَ وعيٍ منعكس على ذاته، والذي يطلب ما يريد في العمق. إنه في العمق لا يريد، فهو لا يريد شيئاً؛ هناك أشياء لا يريدها إلا على مضض. لا شيء يمنعنا من تأويل أفعاله وحركاته، وملاحظة أنه في الواقع يقبل هذا ويرفض ذاك، وأن في فعله هناك ما هو أساسي وما هو عكس ذلك، ويمكن التمييز بينهما، لكننا منعنا أنفسنا من فهمه ما إن حَوَّلنا هذا الاختلاف إلى تمييز، هو نفسه من قام به في وعيه، وجعلنا من فعله السالب، الذي هو بالنسبة إليه محض سلبية، خطاباً أنطولوجيّاً. إن ما يظهر لنا على أنه أهم شيء في وجوده لا يمكنه أن يكون، بالنسبة إليه، شيئاً مُصرَّحاً به. لذلك يُعلن عن ذاته في الصمت، ليس في الصمت المطلق؛ بل في صمت العقل الذي يرمي إلى أن يكون متسقاً، ليس في العدول عن كل ما نسميه نظريات في الحياة اليومية، وإنما في العدول

عن كل نظرية (théoria)، وعن كل نظرة، وعن كل محاولة للنظر نظرة متفردة للمجموع. إن العنف عبارة عن مشكل بالنسبة إلى الفلسفة، لكن الفلسفة ليست مشكلة بالنسبة إلى العنف، الذي يتهكّم على الفيلسوف، أو يستبعده عندما يجده مزعجاً، ويشعر به عائقاً في الطريق الخالية من أيّة معالم، التي هي حقيقته بالنسبة إليه هو ذاته.

إن النتيجة العكسية إذاً أنه لا معنى للعنف إلا بالنسبة إلى الفلسفة، التي هي رفض للعنف. وهذا لا يعني أن الفلسفة ترفض العنف بشكل مطلق؛ بل الأمر أبعد من ذلك تماماً؛ إذ كنا سنقبل بسهولة أن الفلسفة التي تُستوعب على أنها فهمٌ وطريق للرضا، توصي باستعمال العنف؛ لأنها مدفوعة إلى ملاحظة أنها ملزمة بأن تقف ضد العنف. بيد أن هذا العنف ليس، إذاً، سوى الوسيلة الضرورية (وهي ضرورية بشكل تقني في عالم لا زال تحت رحمة قانون العنف) لخلق حالة من اللاعنف، فليس العنف الأول هو ما يشكل مضمون الحياة الإنسانية؛ وإنما على العكس، لن يكون للحياة الإنسانية أيُّ مضمون إنساني إلا انطلاقاً اللحظة التي سيكون فيها العنف الثاني الموجّه ضد العنف الأول بوساطة العقل وفكرة الانسجام، قد حَذَفَ هذا الأخير من عالم الإنسان ووجوده؛ إن اللاعنف هو نقطة انطلاق الفلسفة، كما أنه غايتها القصوى.

إنه كذلك، ممّا يجعل الفلاسفة، ينسون، في الغالب، أن العنف هو قضيتهم الأساس. صحيح أن الفلسفة لا تنسى ذلك، أو لنقل، لكي لا نتكلم بالصور، إن كل خطاب فلسفي يُظهر أن من صاغه كان مدفوعاً بإشكالية العنف. لا يهمنا هنا معرفة في أي اتجاه تَحرك هذا الدافع ضمن الأنساق المختلفة، ولا يهمنا قطّ ما إذا كنا قد عرفنا العنف أو لا (الذي له مسميات عديدة) بما هو شيء غير قابل للاختزال في الإنسان، وما إذا كنا قد جعلنا من اللاعنف في وجود الإنسان هدفاً للخطاب؛ إن هذه الاختيارات ما هي إلا تفريعات عن الاختيار الأول، بين العنف والخطاب، وهو اختيارٌ أول لأنه سابق كل خطاب من أجل الخطاب نفسه، إذا ما أراد أن يفهم ذاته.

إنه لا يريد دائماً فهم ذاته، وليس بإمكانه أن يفعل ذلك على الدوام. وحينما نقول إنه لا يريد ذلك، ولا يمكنه القيام به على نحو دائم، فإننا لا نُعنَى برفض الخطاب التام الاتساق، وإنّما بتوقف الخطاب، سواء في موقف إشباعٍ جزئي وخاص؛ وهو موقف الأسياد في جماعة ما، الذي يمثل كل شيء بالنسبة إليهم (كل ما يهم)، أو في موقف العبد الذي يستمر في عمله بعد أن نجا بحياته، أو ذلك الذي سبق له أن كان عبداً، فبات راضياً لأنه لم يعد تحت سلطة عليا لسيد ما، أو لأنه، على الأقل، لم يعد عبداً لسيد من البشر. إنه، وهو يشعر بعدم الرضا من وقت لآخر، يعول على نجاحات وارتياحات مستقبلية. إن الأول مادام لا يخشى العبودية لذاتها، فإنه لن يطرح أية أسئلة، والآخرون سوف لن يستوعبوا عدم رضاهم الأساسي؛ ومنه سيصير من البدهي ألا يتمكنوا من فهم أنفسهم بصفة دائمة. فلكي يبلغوا فهم ذواتهم، عليهم أن يتوافروا على

خطاب متسق بما يكفي، حتى يمكن لفكرة الرضا المطلق أن تتطور فيه. وأيضاً طالما أن الفرد يكافح بعنفِ سيدٍ خشنٍ وقاسٍ، وعُنفِ طبيعةٍ لم يطرأ عليها أيّ تغيير بِفِعْلِ الشغل، فلا وجود لمشكلة العنف بالنسبة إليه. هناك عنف، وما عليه سوى الدفاع عن نفسه، كما هو الشأن بالنسبة لإنسانٍ يموت من الجوع، فالمشكلة لا تتمثل في الجوع، وإنما في التغذية، ومن ثمّ سوف لن ينشغل بالتفكير في الجوع والانتصار عليه بهذه الطريقة (اللهم إذا كان قد هيأ نفسه لمثل هذا الوضع قبل أن يجد نفسه أمام صعوبة التطبيق)، ولن يتساءل حتى عن الكيفية التي ينبغي بها تدبير العالم الإنساني لكي لا تكون هناك أية مشكلة عملية تتعلق بالجوع؛ سيبحث عن كسرة خبز أو وعاء من الرز. وبشكل ملموس، لن يبحث الإنسان في هذا العالم عن الرضا ما لم يكن لديه الوقت (الوقت الحر otium) للتفكير في مسألة الرضا؛ وبتعبير آخر، ما لم يكن سيداً بما يكفي على الطبيعة، ومتحرراً بما يكفي من العنف الطبيعي والإنساني، ولو للحديث عن ذلك فحسب وسماع الآخرين يتحدثون عنه.

لكن هذا النسيان واستحالة طرح السؤال هذه يُظهِران، بدقة أن الخوف من العنف هو أصل الفلسفة؛ إن هذا هو ما يفسر سبب إعراض الفلاسفة عن العنف، وبأسرع ما يمكن في أغلب الأحيان، وهو أيضاً سبب إعراض أولئك الذين يشاهدون العنف أمامهم عن الفلسفة، التي تبدو لهم أنها عبارة عن اختراعٍ مُوجَّه لإخفاء حقيقة الحياة. إلا أن هذا النفي نفسه لا يصل إلى تعبيره الخالص إلا عبر الخطاب؛ إذ يمكن للإنسان أن يلتزم الصمت، -أو لنقل باحتراس أكثر: لا شيء يستبعد أن يُخرس الإنسان فاه، لأننا لا نعرف شيئاً عَمَّن لم يسبق له أن تحدث، ويلتزم الصمت- دون أن يكون قد مرّ بالخطاب. بيد أنه لا يتحدث عن الصمت وعن العنف سوى من كان قادراً على استيعاب موقفه الخاص اعتماداً على الخطاب؛ إن نعت الخطاب بالعبثي ليس مجرد خطاب؛ إذ إن هذا يفترض وجود خطاب مهيأ يمكننا أن نرميه بنقيضه، هو وكل أولئك الذين تَقَصَّينا أمرهم من بين الصامتين، ووجدنا أنهم قد تخلوا عن الخطاب؛ أي أنهم اعتمدوه لفترة من الزمن. هل سَلْبُهُم هذا على مقاس الخطاب الذي ينفونه ولا يمتد إلى أبعد من ذلك؟ إن خطاباً جزئيّاً لا ينتج إلا سلباً جزئيّاً وصمتاً جزئيّاً، ولا يتعارض العنف الخالص إلا مع الخطاب التام الاتساق. إن على الفكر أن يكون متقدماً لكي يستطيع أحد ما أن يُشهر سلاحه بمجرد ما يسمع كلمة «حضارة».

لكن، كلما بدا هذا واضحاً، أصبح مشكل الفلسفة أكثر تعقيداً بالنسبة إلى الفلسفة نفسها. بالفعل، لو أن الفلسفة ليست سوى إمكانية للإنسان، وأن هذه الإمكانية لا يمكنها أن تكون معروفة بهذا الشكل، إلا بظهور ضدها، وهو العنف الذي في كامل صفائه يرفض قطعاً الخطاب التام الاتساق، فإن عليها -أي الفلسفة- أن تُستوعب بوساطة آخَرِها- المشكل الذي ما كان ليكون صعباً بما أن كل ما هو مستوعَب يكون مُستوعَباً بفضل آخَره، ولو أن ما يُستوعب من هذا الفهم لم يكن هو ما كان ينبغي استيعابه منه، حتى ولو تعلق

الأمر بالفلسفة نفسها. يكفي إهمال هذه الصعوبة من أجل بناء خطابات منسجمة ومتفردة كما قلنا سابقاً، وأكثر من ذلك بناء خطابات تفهم كل شيء باستثناء فعل وجودها الخاص. لكن كيف يمكن لهذه الخطابات أن تكون مفهومه بوصفها خطابات إنسانية؟ وكيف يمكن أن يُفهَمَ اللاعنف انطلاقاً من العنف، والاتساق انطلاقاً من اللامتسق؟

في النهاية، بما أن الناس تداولوا مثل هذه الخطابات، وأن هذه الخطابات لا هي سقطت من السماء، ولا هي خرجت من رأس الإله جوبيتر (Jupiter)، وبما أن الواقع، إضافةً إلى هذا، هو خير دليل على الإمكان، فليس من العبث البحث عن جواب هذا السؤال، وقد رأينا أن عدم التناقض البسيط، أو تحليل شروط إمكان العلم والحرية، سوف لن يزودنا به. صحيح أن الخطاب التام الاتساق يجزم أنه يعرف ويقوم إضافة إلى ذلك بصياغة الحل، كما يصح أيضاً أن هذا الخطاب، إذا كان هو حقّاً ما يزعم أنه هو -ولدينا كل المصلحة في أن ننسب إليه ذلك لكي نصوغ مشكلنا بالطريقة الأكثر جذرية- لا يفهم فحسب كل شيء، لكن زيادة على ذلك يفهم واقعه الخاص؛ إنه الوجود الذي يُفكَّرُ فيه، أو الحرية التي تعي نتائج فعلها اللاواعي، وتجد نفسها -وهنا يجب أخذ الكلمة بشكل حَرْفي: ولْتلاحظ ذلك في الواقع- راضية وخارج نطاق كل عدم رضا. ومع ذلك، يمكنني أن أكون غير راضٍ، وإلا فإنني أستطيع أن أدحض، وفي جميع الأحوال أن أرفض وأن أصد الخطاب. إن وجود فلسفة بالنسبة إلي راجع إلى أنني أريد أن تكون هناك فلسفة، وإلى أنني أضع وجوداً لمعنى ما، وإلى أنني أنُصُّ على أن هناك إمكانية لصياغة خطاب يستوعب كل شيء، بما في ذلك نفسه. لكن هذا القرار حرّ، ولا ينتمي إلى الخطاب، إنه غير قابل للفهم في ذاته، وهو عبثي كما يُقال. إنه في الحقيقة أكثر من عبثي، بما أن العبثي يتحدد في علاقته بشيء له معنى، لا يوجد إلا في الخطاب؛ إن هذا القرار هو المبدأ المطلق، وهو البداية التي تَفهم، وهو القرار الذي من غير المجدي تطبيق فكرة الفهم عليه.

وباختصار، إن المعنى؛ بل كل معنى له أصله في ما ليس معنى ولا معنى له (وهذا الأصل لا يَبْرُز إلا في معنى نام في الخطاب المتسق). إذاً، الخطاب التام الاتساق على حقٍّ، نظراً لأن رفض الخطاب ليس ممكناً إلا بمعرفة علته وأصله. فكلُّ رفضٍ يكون خاصّاً إذا لم يستند إلى الخطاب التام الاتساق، وهو، من ثمّ، ليس إلا رفضاً لوضعٍ بعينه، يمكن للخطاب المطلق إظهاره بوصفه وضعاً خاصاً، وإلا فإنه يظهر في نظر العنيف الذي نتحدث عنه، على الأقل في ذاته؛ أي في ولأجل الخطاب: إن رفضاً كهذا يشترط أيضاً وجود عالم، وواقع له معنى، بموجبه يُحاكم موضوع الرفض ويندد به، وإذ تختلط على الثائر طبيعة ثورته، فإنه يؤمن في قرارة نفسه بإمكانية الرضا. وإن أخذ نفسه على أنه عنيف، فهو بالنسبة إلى الخطاب ليس سوى فيلسوفاً أساءَ فهم نفسه، والذي لن يعيد إساءة فهمها أبداً، منذ اللحظة التي سيُحذف فيها ما كان يثيره، أو أنه سيتغير، ومن ثمّة سيبلغ الرضا. وحده تفكيك الخطاب -إمّا بالصمت وإمّا بوساطة اللغة غير المتسقة- له

صلة بالعنف الخالص، الذي لا يكون خالصاً إلا بمعرفة علته وأصله. إن هذا الأمر ممكن، ودون هذا الإمكان ما كان للفلسفة أن تكون مستساغة لذاتها؛ فهذه هي الصعوبات التي تعترضنا نحن المشتغلون بالفلسفة.

قصور وشرعية الجواب الوجودي:

العنف في الخطاب:

يبدو أن هناك حلّاً بسيطاً جدّاً لهذه الصعوبة، كان سيكون كافياً القول إن الإنسان كائنٌ على النحوِ الذي يوجد فيه دائماً خطاب خاصّ به، وإن هذا الخطاب غير مكتملٍ على الدوام، فهناك دائماً نظام لأجله، وهو يحيا بشكل دائم في عالمٍ مُنظَّم، يُوجِّهُ نفسَهُ في كَنفه. وحينما يكون هذا التنظيم وهذا التوجيه غيرُ نهائيين، وغيرُ مكتملين أبداً، فإن عدم إمكانية اكتمالهما تعود إلى طبيعة هذا العالم الإنساني؛ حيثُ لا يمكن مصادفة المطلقِ فيه، وحيث هناك المحدود فحسب. وهذا أمر بدهي، لكون الفرد وحده من يعتمد على الخطابات، والخطاب لا يستوعب الفرد، ولا يمكنه ذلك؛ لأن هذا الأخير لا ينجح أبداً في التماهي لا مع خطابه الجاهز والجامد، ولا مع عالمه، ودائماً إزاء ذاته؛ لأن كل نقطةٍ ثابتة تغدو بالنسبة إليه نقطة انطلاق. وخلاصة القول إنه كان سيكون كافياً إعطاء شكل وصيغة لكل ما يبدو لنا أنه يطرح صعوباتٍ كبيرة؛ فالحقائق تحولت إلى زيف، والتاريخ إلى تاريخانية، والسلب إلى سلبية، والخطابات إلى ما هو من أجل ذاته... إلخ، وبهذا الشكل كنّا سنعرف ماهية الإنسان.

إنه خطابٌ مُغْرٍ بلا شك، وهو، قطعاً، غيرُ كافٍ كذلك، مثلما هو عليه الحال بالنسبة إلى خطاب التفكير الترانسندنتالي حول مبادئ الإمكان (la com-possibilité) الخاصة بالعلم والحرية، وللسبب نفسه: إن الإنسان في الخطاب هو كائنٌ «تاريخيّ، «زماني» و«يوجد في مقابل ذاته» بشكل أبدي، في عالم غير قابل للاكتمال؛ إن هذا الخطاب يلامسُ كل شيء، إلا نفسه، ولو كان الإنسان هو ما يقوله هذا الخطاب عنه، ولم يكن سوى ذلك، لَكان هذا الخطابُ عينُهُ سيكون مستحيلاً باعتباره خطاباً أبديّاً بالنسبة إلى إنسانٍ زماني.

بيد أنه مهما كان هذا الخطاب قاصراً، فإنه حقيقيٌّ مع ذلك؛ بمعنى أن ما يقوله الخطابُ عن الإنسان يمكن، ويجب، أن يكونَ مؤكَّداً من طرفه (أي الإنسان)؛ والحجة في هذا الأمر لا تكمن في كوننا لم نستطع التكلم دون أن نستخدم مفاهيم متشابهة ومتطابقة مع مفاهيم الخطاب، وإنما، على وجه الخصوص، في أنه من المستحيل من دونه رؤية السلبية والعنف بوصفهما واحداً من الإمكانين الأخيرين للإنسان الذي يتكلم، وبوصفهما أساساً لكل موقف خاص بالإنسان. مثلما أن الخطاب قاصرٌ على غرار الخطاب الترانسندنتالي،

فإنه، في الآن عينه، ضروري مثله، وربما سيسمح لنا بالاقتراب من جوابٍ ما، إذا ما حاولنا تحديد ماهية هذا القصور.

يؤكد هذا الخطاب أن الإنسانَ حرٌّ، وهو محقٌّ في الجزم بذلك. فالإنسان يمكنه دائماً أن يقول «لا» في أي سياق كان، وما هو كائن بالنسبة إليه، هو كذلك لأنه يريده؛ بل حتى الوضعيات التي لا تطاق بشكل كبير، والفظيعة جدّاً، مثل العبودية، والتعذيب، وتهديد الموت، لا تربطه ولا تقيده في ما يتعلق بعمق كينونته، ما دام بوسعه دائماً إنكار هذه الوضعية. إن كل شيء ينبثقُ من هذه الحرية، ويَنبجسُ من كائنٍ لا يوجدُ على النحو الذي توجد عليه الأشياء، ولكنه كائن لذاته، ولا يوجد داخل الزمان كما توجد سمكة داخل نهرٍ، لكنه كائنٌ زماني في كليّته، إنه مستقبلٌ آتٍ، لا يوجدُ في حاضر أبديّ؛ بل هو كائن يفعل، ويقرر ويلتزم، وبهذا الشكل يصنع التاريخ. إنه عبارة عن كائن هو التاريخ، لكنه تاريخ لم يكتمل أبداً؛ لأنه إذا ما اكتملَ سيصيرُ شيئاً، ولن يكونَ حرّاً -إن الكينونة بالنسبة إليه لا تحمل معنىً مُطلقاً، وإنما تمنح لكلّ شيء معنى، وهي التي من أجلها ينكشف كل شيء، بفضل وفي إطار هذا المعنى.

ما تَبَقَّى هو مسألة معرفة ماذا يعني هذا بالنسبة إلي أنا، لأنني أنا، كما أوجد، ليس في حالة التظاهر، وإنما في سياق الواقع الذي هو واقعي أنا، لا كزمانية؛ بل في لحظة الزمان هذه. وليس كتاريخانية، وإنما في هذا الحاضر التاريخي. فأنا لست حرية، وربما لست حرّاً كذلك. إن معنى أن أكون حرّاً، بالنسبة إلي، هو أنه يمكنني فعل ما أملك نيّة فعله، وألا أتحمل ما لا أرغب في تحمله. ومن دون شك فإذا ما تمَّ حبسي، أو تهديدي بالتعذيب؛ فأنا حرٌّ في ألا أخضع للعنف والتهديد، لكن هذا يعني، عمليّاً، أنني بهذا أستبعد عنف الآخر أو عنف الطبيعة باستسلامي لعنفِ الموت المطلق؛ إنني حرٌّ في قول «لا»، ولستُ حرّاً دائماً في «الفعل»، فأنا حرٌّ في الموت، ولستُ دائماً حرّاً في الحياة. إنني حرٌّ في أن أختار ضمن سياقٍ ما، لكنني نادراً ما أكون حرّاً في اختيار السياق.

قد يكون الردّ بأن هذا عينهُ حجة كافية على حرية الإنسان الأنطولوجية، ودون شك سنوافقُ على ذلك بصدر رحب، لكن هذه الحجة لا تقودنا إلى ما هو أبعد من مجرد وصفٍ ترانسندنتالي؛ إنها تنُصُّ على ما هو مطلوب، حتى يمكن تحويل ما هو كائن إلى خطاب متسق. إنها تتحدث عن السلبية، عن طريق الاستبعاد أو السلب (per viam negationis)، ولا تعلمني ما يمكنني أن أفعل، ولا ما يجب علي فعله بهذه السلبية. إنها تُصورني ليس كالفرد الذي أنا هو، وإنما فردانيةً يغدو من خلالها وجودي الواقعي الوحيد الذي يهمني قابلاً للاستيعاب بالنسبة إلى خطابٍ ترانسندنتالي. إنها تُظهرُ لي أنني حرٌّ، على الرغم من أنني أعلم هذا دائماً، وإن لم أقم بصياغته طوال حياتي. إن هذه الحجة لا تهمني أكثر من اللازم، لأنني لا أرغب في أن أكون حرّاً؛ بل في أن أكون راضياً؛ في الواقع، ما كانت لتهمني حريتي أبداً لو لم أكن غير راضٍ، ولو لم

أكن أرغب في حياةٍ أخرى، وظروف أُخرى، وعالم آخر. ثم ألا أجدُ نفسي أيضاً متقدماً حين أعلمُ أن كل شيء متوقفٌ عليَّ لدرجة أنه بوسعي الانسحاب من كل شيء؟ إنني فعلاً لا أملك أية رغبة في الانسحاب من كلّ شيء، ولكنني أرغب، بالأحرى، في الاستمتاع بكل شيء، ومشكلتي ليست هي الحرية بقدر ما تكمن في كون هذه الحرية لا تملك حظوظاً كثيرة للفعل بشكل إيجابي، ولأنني أجدني محاصراً ومنزعجاً، وغير حرٍّ في قراراتي، على الأقل بقدر ما أرغب في جعلها حيزَ التنفيذ.

من المؤكّد -سوفَ يُقالُ لي- أن الحرية هي دائماً حرية في سياقٍ ما، وسأوافق على ذلك مرة أخرى، بما أن هذا هو ما قلته للتو. ولكن، ماذا لو أنني وجدتُ أن هذا السياق، الذي هو سياقي أنا، لا يُحتمل، ولو أنني لم أُوفَّق أبداً في مواساة نفسي بملاحظة أن حرية الإنسان تتعلق، أساساً، وبشكل أبدي، بالسياق؟ وماذا لو أعلنتُ أنني ما كنت لأشعرَ، لو أن السياق لاءمني، بأكثر من شعوري حين يناسبني ثوب ما؟ سيتم الرد عليّ بأن هذا سيكون تخلياً مني عن الحرية الإنسانية، وأنني كنت سأكون شيئاً من بين الأشياء لو لم أكن قد أثبتُّ ذاتي بِنفيي لما هو كائن. إن هذا ممكنٌ، إلا أنه كان سيكون أكثر ضراوةً، بالنسبة إلى منتقدي الذي كان سيكون خطابه متصدعاً إذاً من أساسه، مِنّي أنا الذي كنتُ سأكون راضياً عن حياتي، لا أطلبُ شيئاً، وبإمكاني الاستمتاع بوجودي.

إن الخطاب الترانسندنتالي ليس أعزَلَ أمام هذا، ومن يتناوله لن يكون مقتنعاً باعتراضاتي، لكنه إذا شاء أن يأخذ في الاعتبار ما أقول سيتجاوز نفسه بالضرورة، وسيتوصل إلى القول إن ما قدمته للتو يُفهمُ تماماً، وإنه ما من داعٍ للاندهاش من بقائي غير راضٍ على خطابه؛ لأن الخطاب هو كذلك، حيث لا يستوعب إلا ما هو كوني، إنه يستوعب بنيات الإنسان والواقع الإنساني، وليس الفرد؛ بل من الخطأ أن نطلب من الخطاب أن يستوعب الفرد وليس الفردانية، على اعتبار أن الخطاب هو فعل الفرد، في حين أن الفرد ليس قطعاً هو فعل الخطاب. والنتيجة هي أن الخطاب ليس أكثر من أشكال وصيغ وجودية، إلا أن الوجود الذي هو وجوده (أي الفرد) لا يمكن قوله؛ بل لا يمكن إلا أن يكون مَعيشاً ومفعولاً، وهو ما لا يمكن أن يحدث إلا بوساطتي أنا. ومثلما منحت الخطاب المتعالي، الذي يتمحور حول الوجود، كل ما كان يستدعيه، ويؤكده، فإنه، الآن، يقبل كل ما اعترضت عليه فيه، ولم أعد منتَقَداً أو قلقاً بالقَدْر الذي كنت عليه من طرف هذا الخطاب. في ظل هذا الاختلاف، وعلى الرغم من تَعاليه، يصبح الخطاب، أو بالأحرى يعرف أنه يجب عليه أن يصبح، خطاباً تامّ الاتساق، وأن عليه أن يفهم ذاته، مادام قد رأى أن الخطاب يمكن أن يُرفضَ بمعرفة علته وأصله، وأنه ليس إذاً سوى إحدى ممكنات الإنسان.

ألَا نكون بهذا قد عدنا إلى النقطة نفسها، لنجد أنفسنا أمام الصعوبة ذاتها، التي تمنينا تجاوزها بتوجُّهنا إلى الخطاب الترانسندنتالي الذي يتمحور حول وجود الإنسان؟ ليس تماماً، لأن العنف، الذي بدا لنا آخَرَ

للخطاب التامّ الاتساق، يظهر الآن في الخطاب نفسه. إن الإنسان فردٌ، إنه أنا، أو أنت، أو أيّ شخص آخر. فالخطاب، وهو على علم بالتجريد، يعرف في الآن ذاته أنه خطابُ عنفٍ؛ أي أنه ليس مجرد خطاب يدور حول العنف، وليس فحسب خطاباً منشغلاً بالعنف، وإنما هو خطابٌ مُتَّخَذٌ ومُهيأ ومشَكَّلٌ بوساطة العنف. إنَّ اللاعنف هو «الواحد» (l'un)، إنه الكوني، إنه ما يشمل الفرد، ويسمو به، ويلغيه. ولا يحتفظ به إلا على الصورة التي يمنحها له الخطاب، ليس باعتباره فرداً، وإنما بما هو فردانية. لكن هذا يظهر الآن كذلك في الخطاب، ويظهر فيه أيضاً ذلك الظلم في حقي، في حقك أنت، وفي حقّ أيّ شخص آخر. بهذا الشكل، يتحرر إنسان الخطاب مما يمكن أن نسميه وعيه السيئ؛ بما أن الإنسان يعلم أن بوسعه الاختيار بين الخطاب والعنف، فإنه يعلم أيضاً أنه اختار، وأن اختياره هذا كان حرّاً (ما يعني أنه، في كل لحظة كان بإمكانه، ولا يزال، اختيار العنف، أو بصيغة أخرى اختيار الصمت)، وهو ما لا يمكن تبريره (لأنه بعبارة أخرى كان يلزمه خطاب فوق الخطاب لتبرير هذا الاختيار)، وفي نهاية المطاف بالنسبة إلى الخطاب، كل محاولة لفرض الخطابِ على فردٍ ما هي محاولة لا طائل منها.

لا ضرورة للفلسفة والوعي السليم للفيلسوف:

يمكن التساؤل حول ما إذا كان هذا هو كل شيء، وحول ما إذا كان الحل، الذي طالما بحثنا عنه، يوجد هنا. فماذا يحمل لنا هذا الحل من جديد؟ أيجب علينا أن نمرَّ، لو أردنا الحديث بشكل عقلاني، إلى الخطاب التام الاتساق؟ لقد سبق وقلنا ذلك من قبل. فهل الإنسان، وهو ينشئ خطاباً منسجماً (يكون جزئيّاً)، يختار بحرية؟ لقد وجدنا أكثر من استشهاد على ذلك. أو لنقل بتعبير آخر، هل يتعاطى الفيلسوف الآن ببساطة مع الفلسفة عن علم، ودون وعي سيئ، لأنه يريد أن يفهم دون البحث عن التبرير المستحيل للفهم قبل الفهم؟

بالفعل، إنه كذلك ببساطة. لكن هذا الوعي السليم للفيلسوف له عواقب ليست بسيطة بالمرة؛ لأنه طالما أن الفلسفة لا تَعلم أنها قائمةٌ على الحرية، وتعتقد أنها في حاجة إلى تبرير، فإنها تتشكل، على نحو لا مفرّ منه، باعتبارها خطاباً جزئيّاً، حتى حيثما تريد أن تكون خطاباً تامّ الاتساق؛ إنها تريد أن تَفهم إمكانها الخاص، ليس بالمعنى الذي طرحنا فيه السؤال نفسه، وهو ما مفاده معرفة كيف تكون الفلسفة ممكنة بالنسبة إلي أنا (أو بالنسبة إلى الفرد إن شئنا ذلك)؛ بل بالنسبة إليها هي نفسها. إن الفلسفة تُؤَوَّلُ إذاً علماً، وفي الشعور (الذي تتخذه بداهةً نظريةً) بأن العلم يمكن أن يكون مبرهناً عليه للكل. والفلسفة، مؤكداً، هي علمٌ، والعلم يمكن أن يكون مبرهناً عليه بوصفه حقيقيّاً للكلّ. وذلك شريطة أن يعلم الجميع قيمة البرهنة، وأن يروا في العلم المضمونَ الجوهري لحياة الإنسان؛ بل أبعد من ذلك، إن الفلسفة أكثر علميةً من أيّ علم آخر، بما أن كل علم يقبل من التراث تحديد ميدانه (وهو ما لا يحول دون أن تتمكن الفلسفة من تغيير الحدود التي كانت قد بدأت بقبولها كما لو أنها حدودها)، وأن الفلسفة تتشكل، من زاوية النظر هذه، مثل العلم الأول،

العلم بالوجود بما هو وجود، سواء هو في ذاته، أم بالنسبة إلى الإنسان وهو يفعل في وُجودِهِ الملموس. ولكن إذا كانت الفلسفة تكتفي بهذا الفهم حول وجودها، فإنها تمنع نفسها من أن تُفهَمَ بما هي إمكان للإنسان، وتُعَرّض نفسها لاحتجاج الفرد الملموس. وهي ترنو إلى فرض نفسها على الفرد بوساطة الخطاب، لتَؤُولَ في النهاية، إلى أن تجد نفسها مُجبَرة على فرض ذاتها بالعنف، ناعتةً من يتلفظ بهذا الاحتجاج (وأيضاً من يقوم برفضها) بالأحمق أو المجرم؛ بمعنى أنه حيوان خطير يجب استبعاده أو إعدامه. إن الفلسفة، مهما كانت درجة علميتها، فإنها ليست علماً، وليست كذلك هي «العلم»؛ إنها الإنسان الذي يتكلم، والذي، وهو يتكلم يضع في الحسبان إمكاناته المحقَّقة. إنها خطاب الإنسان الذي باختياره إقامة اتساق خاص مع ذاته، يفهم كل شيء باستيعابه لكل فهمٍ إنسانيٍّ، ولنفسه أيضاً.

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019